رهائنُ الصراعاتِ الداخليةِ في عهدِ الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨-٢٧٣هـ/ ٨٥٢- ٨٨٦م)

شاء القدرُ أن يكونَ عهدُ الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط (٢٣٨-٢٧٣هـ/٨٥٢-٨٨٦م)بدايةَ عصر من أخطرِ عصور التاريخ الأندلسي، وأشدهم خطراً على ملك بني أمية، وعلي دولة الإسلام في الأندلس، ذلك أنه ما كاد يتبوأ العرش حتى بدأت طلائع تلك الثورة الجارفة، التي قدر له أن يضطلع بكفاحها طوال حكمه، الذي امتد لخمسةٍ وثلاثين عاماً، والذي يصفه ابن حيان بقوله: " والمشوب آخره بالتنكيد، المنصرم عن فرقة الجماعة، ونجوم النفاق بكل جهة" [١]، فلهذه الثورات اتبع الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط سياسة قائمة على اتخاذ رهائنَ من المناطق الثائرةِ وذلك حتى يضمن ولائهم وعدم خروجهم عليه، فهل حققت سياسة اتخاذ الرهائن الهدف المنشود منها في عهده أما لا؟.

ولأولِ مرة يِطالعنا خبر المكان الذي تم فيه احتجازُ الرهائن الأطفال في قرطبة، حيثُ تم حجزهم في دار تسمي بدار الرهن ولم يرد أي ذكر لدار الرهن في كتابات المؤرخين إلا عند ابن القوطية[٢] في خبر وحيد يؤكده ابن حيان في المقتبس [٣]، فيسوق لنا ابن القوطية أخباراً غايةً في الأهميةِ عن معاملةِ الرهائن، حيثُ يذكر:

(١)عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ٢٩١.
(٢)ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ١٠٦.
(٣)ورد ذكر دار الرهائن عند ابن حيان: عند ذكر عبد الرحمن بن مروان الجليقي الذي قدم ابنه عبد الله رهينة لطاعته للأمير عبد الله بن محمد؛ ابن حيان: المقتبس، إسماعيل العزب، ص ٣٣.

"أن الوزيرَ أمية بن عيسى بن شهيد [٤]على عهد الأمير الأموي محمد بن عبد الرحمن الأوسط أنه ذهب يوماً إلى دار الرهائن بقرطبة المجاورة لبابِ القنطرةِ لتفقد رهائن بني قسي وغيرهم من أبناءِ الثوارِ على الدولة، فوجدهم ينشدونَ شعر عنترة [٥]الحماسي أمام المؤدب، فما كان من الوزير إلا أن نهر المؤدب وقال له: "لولا أني أعذرك بالجهل لأدبتك أدباً موجعاً، تعمد إلى شياطين أبناء شياطين، قد شجي بهم الخلفاء، فترويهم شعر عنترة والشعر الذي يزيدهم بصيرة في الشجاعة؟ كف عن هذا ولا ترويهم إلا خمريات الحسن بن هانئ [٦]، وشبهها من الأهزال، ومثل شعر عمر بن أبي ربيعة [٧]، وجميل بثينة [٨]، وغيرهما من أمثاله [٩].

(٤)أمية بن عيسى بن شهيد: أصله إلى أسرة بني شهيد التي تعد من أكبر الأسر الأندلسية وأثراها وأشهرها في عصر الإمارة والخلافة، وقد تصرف أفرادها لخلفاء بني أمية في الخطط الكبري من القيادة والكتابة والوزارة والحجابة إلى انقراض الدولة المر وانية، وتنتهي هذه الأسرة إلى شهيد بن عيسى بن شهيد بن وضاح، وكان أمية بن عيسى بن شهيد من أجل وزراء الأمير محمد، كان يتعاقب منصب ولاية المدينة هو والوليد بن غانم، وهو من أهم مناصب الدولة يومئذ لما يتطلبه من الحزم وقوة الشكيمة والنزاهة. ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٩٨؛ ابن حيان المقتبس: مكي، هامش ص٢٦٥، ٢٦٦؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ٣١٣.

(٥)عنترة: عنترة بن شداد بن عمرو بن معاوية ابن قراد العبسي من أهل نجد، وهو من أشهر فرسان العرب في الجاهلية، ومن شعراء الطبقة الاولى،؛ أمه حبشية اسمها زبيبة، سري إليه السواد منها؛ وكان من أحسن العرب شيمة ومن أعزهم نفساً، يوصف بالحلم على شدة بطشه، وكان ة من أشد أهل زمانه وأجودهم بما ملكت يده وفي شعره رقة وعذوبة؛ ابن قتيبة الدينوري: الشعر والشعراء، ط٢، أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة١٩٥٨م. ج١، ص ٢٥٠؛ عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة، دمشق١٩٥٧م، ج٢، ص٥٨٧، الزركلي: الأعلام، ج٥، ص ٩١.

(٦)الحسن بن هاني: (١٤٦- ١٩٨هـ/٧٦٣-٨١٣م)المعروف بأبي نؤاس ويكني أبا على شاعر العراق في عصره؛ ولد في الأهواز من بلاد خوزستان ونشأ بالبصرة، ورحل إلى بغداد فاتصل فيها بالخلفاء من بني العباس، ومدح بعضهم، وخرج إلى دمشق، ومنها إلى مصر، فمدح أميرها وعاد إلى بغداد فأقام بها إلى أن توفي فيها، وفي تاريخ ابن عساكر أن أباه من أهل دمشق وفي تاريخ بغداد أنه من طيء من بني سعد العشيرة، وهو أول من نهج للشعر طريقته الحضرية وأخرجه من اللهجة البدوية، وقد نظم في جميع أنواع الشعر، وأجود شعره خمرياته. ابن المعتز: طبقات الشعراء، عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف، القاهرة ١٩٥٦م، ص١٩٣-٢١٧؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٩، ص٢٧٩، ٢٨٠؛ الزركلي: الأعلام، ج٢، ص ٢٢٥.

(٧)عمر بن أبي ربيعة: أبو الخطاب عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة القرشي المخزومي عمر بن أبي ربيعة، ولد في الليلة التي توفي بها عمر بن الخطاب سنة (٢٣ هـ / ٦٤٣م)فسمي باسمه، وهوأرق شعراء عصره، من طبقة جرير والفرزدق، ولم يكن في قريش أشعر منه، وهو كثير الغزل والنوادر والمجون والخلاعة، وله في ذلك حكايات مشهورة، وكان يفد على عبد الملك بن مروان فيكرمه، رُفع إلى عمر بن عبد العزيز أنه يتعرض للنساء فنفاه إلى دهلك، ثم غزا في البحر فاحترقت السفينة به وبمن معه، فمات فيها غرقاً، سنة (٩٣هـ/٧١١م). ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج٣، ص ٤٣٦؛ أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ط٢، سمير جابر، دار الفكر، بيروت، ج١، ص١٣٠– ١٦٩.

(٨)جميل بن عبد الله بن معمر العذري القضاعي، أبو عمرو: شاعر، من عشاق العرب، افتتن ببثينة، من فتيات قومه، فتناقل الناس أخبارهما؛ شعره يذوب رقة، أقل ما فيه المدح، وأكثره في النسيب والغزل والفخر. الأصفهاني: الأغاني، ج٨، ص ١١١، ص ١٣٦؛ الزركلي: الأعلام، ج٢، ص ١٣٨.

(٩)ابن القوطية: تاريخ إفتاح الأندلس، ص ١٠٦.

ومن هذا النص السابق نستدل على العديد من الأمور التي تفيد الدراسة وتجعلها في مسارها الصحيح، وهذا النص يؤكد وجود دار مخصصة للرهائنِ الأطفال في مدينة قرطبة بجوار باب القنطرة وأن لهم مؤدبين يقومون على تعليمهم، ويؤكد أيضاً أن الإمارة الأموية في هذه الفترة ورجالها كانوا حريصين على أن يتلقى هؤلاء الأطفال نوعاً معيناً من الثقافة ألا وهو ثقافة الهزل والخمريات، وهذا النوع من التعليم كان مقصودا، لكي يقضي على همم هؤلاء الأطفال، ولكي ينشئون على حب النساءِ والخمرِ، فتكون هممهم فاترةً عديمي النخوة والمروءة، وذلك حتى يتسنى للأمراء الأمويين السيطرة على هؤلاء الأطفال عندما يشبوا ويكونون خلفا لآبائهم. وهذا النص يبين مدي انتشار هذا النوع من الثقافةِ التربويةِ العسكريةِ بين شباب الأندلس إلى درجة أن أحد الوزراء حاول حجبها عن كل من لا يستحقها من الخارجين على الدولة، ويتضح كذلك أن الأطفال كانوا يتعلمون في دار الرهائن في قرطبة العقيدةَ والأخلاق والأفكار والعادات والتقاليد وغير ذلك من السلوكيات السلبية التي تجعل أمرَ السيطرةِ عليهم فيما بعد سهلاً من قبل الأمويين تبعاً لاعتقادِهم، والأحداثُ التاريخية سوف تظهر هل حققت هذه التربية مقاصدها أم لا؟.

أهلُ طليطلةُ ومقايضةُ الرهائنِ:

بمجرد أن تولي الأمير محمد بعد وفاة الأمير عبد الرحمن الأوسط سنة (٢٣٨هـ/٨٥٢م)أعلن أهل طليطلة الثورة فورَ وصول خبر وفاته إليهم، بتحريض من مسوقة بن مطرف وأنه سوف يساعدهم بجماعته وأعوانه المقيمين معه بجبل الأخوين الواقع على هضبة قريبة من طليطلة

فاستجاب أهالي طليطلة، واشتعلت الثورة داخل المدينة، ولم يكتفِ أهلُ طليطلة هذه المرة بالانفراد وحدهم بالثورة بل أشركوا معهم بربرَ البرانس من سكان طليطلة وينفرد ابن حيان بالإشارة إلى المشاركة البربرية بقوله " واشترك مع أهل طليطلة في هذه الثورة البرانس البربر فكثر جمعهم وسعروا البلاد حولهم " وكان ذلك في يوم السبت الرابع عشر من ربيع الثاني [١٠]وبدءوا في محاربة حاكم طليطلة حارث بن بزيع، والأمير سعيد بن عبد الرحمن الأوسط، ومع شدة الحصار من قبل أهل طليطلة من الداخل وابن مطرف من الخارج قامت الحامية الأموية التي عجزت عن إخماد الثورة في المدينة بإخراج الأمير سعيد من باب القنطرة ومكنوه من الفرار، بينما وقع حارث بن بزيع أسيراً في أيدي الثوار [١١].

وبذلك يكون قد وقع في أيدي الثوار صيدٌ ثمين سوفَ يكون له تأثيرٌ كبيرٌ على سير الأحداثِ السياسيةِ في عهدِ الأميرِ محمد، حيثُ قايض أهل مدينة طليطلة الأمير محمد فعرضوا عليه إطلاق سراح الوالي (حارث بن بزيع) مقابل إفراجه عن الرهائن المحتجزين من أهل طليطلة في قرطبة منذ عهد أبيه الأمير عبد الرحمن، فخضع الأمير محمد لمطالب الثوار بالفعل، وأفرج عن رهائن مدينة طليطلة الذين لم يفرجوا عن الوالي الأسير حارث بن بزيع إلا عند وصول رهائنهم إلى المدينة [١٢].

وبذلك نجحَ أهالي المدينة في استرجاع زعمائهم القادرين على قيادة الثورة وذلك في الوقت الذي كان يظنُ فيه الأمير محمد أنه بهذا التصرف أنهي خروج المدينة الثائرة عليه، ولكن مدينة طليطلة لم تكفْ عن الخروج والثورة حيت إنه في سنة (٢٣٩هـ/٨٣٥م)هدم أهالي

(١٠)عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ٢٩١؛ حمدي عبد المنعم: ثورات طليطلة، ص ٥٩.
(١١)ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٩٤؛ حمدي عبد المنعم: ثورات البربر، ص ٤١.
(١٢)ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ٩٤؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ٢٩٢.

طليطلة أسوار قلعة رباح وهاجموا أهلها فما كان من الأمير محمد إلا أن أرسل أخيه الحكم إلى قلعة رباح لإعمارها وإعادة من فرَّ من أهلها وبعد انتهائه من مهمته أكملها بتخريب طليطلة ونواحيها [١٣]، ولكن هذا العمل لم يردع أهالي طليطلة، ففي شهر شوال من نفس العامَ أخرجَ الأمير محمد إلى شندلة [١٤]قاسم بن العباس وتمام بن أبي العطاف صاحب الخيل، ومعهما الحشم. فلما حلا بأندوجر [١٥]خرجت عليهم كمائن أهل طليطلة ووقعت الحربُ وكثرَ القتلُ فانهزم قاسم وتمام، وأصيبَ ما في المعسكرَ ونهب أهلُ طليطلة وهددوا المصالح الأموية، فجهز الأمير محمد جيشا وتوجه به إليهم في شهر المحرم سنة (٢٤٠هـ/ ٨٥٤م)، وكانت أول حملة يقودها بنفسه بعد تبوئه الملك [١٦].

وكان عماد الثورة في طليطلة جمعاً كبيراً من المولدين والنصارى الذين تحركهم روايات المتعصبين، عن الاضطهاد الذي يلقاه إخوانهم في قرطبة، وكانوا يتطلعون دائماً إلى عون ملوك النصارى فلم علم أهلُ طليطلة بقدومه، قاموا بطلب المساعدة من ملك جليقية وأشتوريش، فلبي ملك جليقية أردون بن إذفونش طلب أهالي طليطلة [١٧]، وأرسل جيشاً كبيراً يقوده أخوه غشتون Gaston قومس بيرزو Conte de Bierzo بجيش كبير من النصارى [١٨]، فخرج الأميرُ محمد حتى وصل وادي سليط [١٩]وقامَ بوضع الكمائن فيه، وأتجه إلى مدينة

(١٣)ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص ١١٩؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ٩٤.
(١٤)شندلة: هو حصن واقع على النهر المسمي بهذا الإسم Jandula، وهو من أفرع الوادي الكبير. عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ٢٩٢؛ حمدي عبد المنعم: ثورات طليطلة، ص ٥٩.
(١٥)أندوجر: يطلق عليه ياقوت الحموى: أندوشر وهو بالضم ثم السكون والشين معجمة وهو حصن بالأندلس بقرب قرطبة؛ ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج١، ص ٢٦٤.
(١٦)ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص ١٢٠؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ٩٤.
(١٧)ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ٩٤، ٩٥؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٣، ص ٢٢٧.
(4 (Provençal (lévi), Histoire de l'Espagne Musulmane ,Paris,1950,T,1, P,293.
(١٩)وادي سليط: وهو الوادي الذي يخترقه النهر المسمي بهذا الإسم Guazalete، وهو أحد أفرع التاجة الجنوبية وهو على مقربة من طليطلة؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ٢٩٣.

طليطلة بأعداد قليلة فخرج غشتون بسرعة طامعاً في النصر والمكاسب مستغلاً أعداد جيش الإمارة القليلة، وعند وقوع المعركة خرجت الكمائن وأحاطت الخيل بالعدو فولوا الأدبار [٢٠]وقتل منهم عددٌ كبيرٌ أُختلف في إحصائه بين ثمانية ألاف قتيل وعشرين ألف قتيل [٢١]، وأُسِرَ منهم كذلك عددٌ جم بينهم الكثير من القساوسة وقد أعدموا على الفور ورصت رؤوس القتلى، وأذن فوقها لصلاة الظهر وكان نصراً عظيماً [٢٢]، سطره عباس بن فرناس [٢٣]في شعره [٢٤]،ولم يستغلْ الأمير محمد انتصاره ويُحكم قبضته على مدينةِ طليطلة، ولكنه في سنة (٢٤١هـ/٨٥٥م)قام بإمداد قلعة رباح بالمؤن والرجال للتضييق على أهلِ طليطلة [٢٥]، وفي سنة (٢٤٢هـ/٨٥٦م)وجه الأمير محمد ابنه المنذر إلى طليطلة فقام المنذر بمحاصرتها وتدمير ما حولها [٢٦]، ورغم ذلك استمرت ثورةُ أهالي طليطلة فخرجوا في سنة (٢٤٣هـ/ ٨٥٧م)إلي طلبيرة [٢٧]مبتعدين عن قلعة رباح لعلمهم أنها كاملة التجهيز وفي طلبيرة أعد لهم

(٢٠)ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص ١٢٠،١٢١؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ٩٤، ٩٥.
(٢١)ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ٩٤؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٣، ص ٢٢٧؛ لسان الدين: أعمال الأعلام، ص ٢٠؛ ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص ١٦٧؛ المقرى: نفح الطيب، ج١، ص٣٥٠.
(٢٢)ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ٩٥؛ حمدي عبد المنعم: ثورات طليطلة، ص ٦٣، ٦٤.
(٢٣)عباس بن فرناس: من أهل قرطبة، من موالي بني أمية، وبيته في برابر (تاكرنا)و ظهر في عصر الحكم الربضي، و برع منذ فتوته في الفلسفة والفلك والكيمياء ووصف بأنه حكيم الأندلس، كان حاذقا بعلم التنجيم وهو أول من استنبط بالأندلس صناعة الزجاج من الحجارة وصنع الآلة المعروفة بالمنقانة ليعرف الأوقات وكان كثير الاختراع حتى نسب إليه السحر، واحتال في تطيير جثمانه فهو أول طيار اخترق الجو، وأثار ابن فرناس باختراعاته المدهشة ريب الجهلاء فأتهم بالزندقة، ولكن القضاء لم يجد سبيلا إلى إدانته، وتوفي في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن سنة (٢٩٤هـ/ ٩٠٦م). ابن سعيد: المغرب، ج١، ص٣٣٣؛ المقرى: نفح الطيب، ج٣، ص ٣٧٤؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج، ص ٢٥٢؛ الزركلي: الأعلام، ج ٣، ص٢٦٤.
(٢٤)وصف عباس بن فرناس هذه المعركة بقوله:
بكي جبلا وادي سليط فأعولا على النفر العبدان والعصبة الغلف
قتلنا لهم ألفاً وألفاً ومثلها وألفاً وألفاً بعد ألف إلى ألف
سوي من طواه النهر في مستلجّه فأغرق فيه أو تهدهد من جرف
عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ٢٩٣.
(٢٥)النويري: نهاية الأرب،ج٢٣، ص ٣٨٨.
(٢٦)ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ٩٦.
(٢٧)طلبيرة: بفتح أوله وثانيه وكسر الباء الموحدة ثم ياء مثناة من تحت ساكنة وراء مهملة مدينة بالأندلس من أعمال طليطلة وتقع في أقصى ثغور المسلمين؛ وهي باب من الأبواب التي يدخل منها إلى أرض المشركين، وهي مدينة قديمة أزلية على نهر تاجه بينها وبين طليطلة سبعون ميلا. ياقوت الحموى: معجم البلدان،ج٤، ص ٣٧؛ الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص ١٢٧، ١٢٨.

القائد مسعود بن عبد الله العريف الكمائن وهزمهم وأرسل سبعمائة من رؤوس أكابرهم إلى قرطبة (٢٨).

وفي العام التالي سنة (٢٤٤هـ/٨٥٨م) خرجَ الأميرُ محمد بنفسه على رأس الصائفة إلى طليطلة، وقد قل عددهم وضاقت معيشتهم، ولكن أهلها اعتمدوا على حصانة مدينتهم ومنعتها واكتفوا بالحرب من وراء الأسوار وعلي القنطرة التي تربط المدينة عبر النهر بالأرض المحيطة بها (٢٩)وأمام رغبة الأمير محمد في الانتقام من أهالي المدينة ومعرفته بحصانتها لجأ للحيلة حيثُ أنه جلب معه البنائين والمهندسين طالباً منهم أن يوهنوا بناء القنطرة دون أن يعلمَ أهلها، فلما نزلوا عليها اندقت بهم وسقطوا في النهر ولم يتركِ محمد هذه المرة وسيلةً إلا استعملها لسحق المدينةِ الثائرة، فخَّرب حصونها ومعالمها، وأوقع بأهلها قتلاً وتشريداً فأسرعوا في طلب الأمان من الأمير محمد في سنة (٢٤٥هـ/ ٨٥٩م) (٣٠)

وفي ذلك يقول الشاعر عباس بن فرناس مهنئا بهذا النصر.

يا ابن الخلائف يا محمد يا من سيفه في راحة النصرِ
أضحت طليطلة معطلةً من أهلها في قبضة الصقرِ
تركت بلا أهل تؤهلها مهجورة الأكناف كالقبرِ
ما كان يبقي الله قنطرة نصبت لحمل كتائب الكفرِ (٣١)

وأذعن أهلُ طليطلة للطاعة سنة (٢٤٥هـ/٨٥٩م)وهم يعتزمون النكث في قرارة أنفسهم متي سنحت الفرصة، وهكذا لبثت طليطلة عصراً تضني حكومة قرطبة بتمردها وثوراتها المتوالية،

(٢٨)ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص ١٢٨؛ حمدي عبد المنعم: ثورات طليطلة، ص ٦٦.
(٢٩)حمدي عبد المنعم: ثورات طليطلة، ص ٦٦.
(٣٠)ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ٩٦؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ٢٩٥.
(٣١)المقرى: نفح الطيب، ج١، ص ١٦٢؛ حمدي عبد المنعم: ثورات طليطلة، ص ٦٧.

وكانت حاضرة القوط القديمة تشعر دائماً بقوتها ومنعتها الطبيعية، وكانت فوق ذلك مثوي التيارات النصرانية الخطرة تنساب إليها من نصاري الشمال، ومن النصارى المعاهدين بقرطبة، ومن أهلها أنفسهم، والواقع أن طليطلة كانت بوعورة موقعها على المنحدر الصخري الممتد نحو نهر التاجة، وإحاطة النهر بهذا المنحدر الوعر ثم بحصونها القوية وأسوارها العالية الضخمة من أمنع مدن العصور الوسطى وما تزال إلى اليوم حين نتأملها ونتجول فيها، تذكرنا بموقعها الصعب وطرقها الصخرية الوعرة وبقية أسوارها وحصونها المنيعة، بما كان لها من سابق الحصانة والقوة فيما خلا من العصور (٣٢).

ولكن لم يلبْث أن عادَ أهلُ طليطلة إلى الثورة ونكثوا عهدهم بعد أن عقد لهم الأمير محمد الأمان وأدخلوا لب بن موسي بن موسي القسوي بلدهم، وعادوا إلى الخلاف ونبذ الطاعة، و في سنة (٢٥٧هـ/٨٧٠-٨٧١م)" كان حال أهل طليطلة بين الإنتزاء والطاعة وأنهم سألوا الأمير محمد أن يولي عليهم أحد زعمائهم واسمه محمد بن بلوش، فلما ولاه عليهم قتلوه (٣٣)فتوجه إليهم الأمير محمد في سنة (٢٥٩هـ/٨٧٣م)وقام بمحاصرتهم (٣٤)إلي أن طلب أهلها الأمان فأعطاهم الأمان وهو الأمان الثاني (٣٥)، وذلك على أن يأخذ منهم رهائن ويقبلوا العمال المقامين عليها وأن يدفعوا له العشور كل عام (٣٦).

(٣٢)عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ٢٩٥.
(٣٣)حمدي عبد المنعم: ثورات طليطلة، ص ٧٠، ٧١.
(٣٤)العذرى: نصوص عن الأندلس، ص ٦٣.
(٣٥)الأمان الأول أعطاه الأمير محمد بن عبد الرحمن لأهل طليطلة سنة (٢٤٥هـ/ ٨٥٩م)وذلك بعد حادثة القنطرة الشهيرة سنة (٢٤٤ هـ / ٨٥٨م)حيث أمر الأمير محمد بقطع القنطرة، وجمع العرفاء من البنائين والمهندسين، وأداروا الحيلة من حيث لا يشعر أهل طليطلة؛ ثم نزلوا عنها؛ فبينما هم مجتمعون بها، إذ اندقت بهم، وتهدمت نواحيها، وانكفأت بمن كان عليها فغرقوا في النهر عن آخرهم؛ فكان ذلك من أعظم صنع الله فيهم، فكان لهذه المكيدة أثر كبير على أهل طليطلة فطلبوا الأمان من الأمير محمد؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ٩٦.
(٣٦)ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص٢٤٤؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص١٠١؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٣، ص٣٩٠؛ عنان: دولة الإسلام، ج١، ص٢٩١، ٢٩٢؛ حمدي عبد المنعم: ثورات طليطلة، ص٥٩.

ومن هنا ظهر أن الأمير محمد أراد أن يضغط على أهالي طليطلة ويخيفهم بورقة الرهائن، وذلك كي يضمن سكونهم وعدم جنوحهم إلى الثورة، وكذلك أنه وجد أن قوة النواحي الاقتصادية بطليطلة أحد دعائم ثورتها فأخذ منهم العشور لعله يقلل من قوتهم وقبل الأمير محمد أراء أهل طليطلة في تولية من يرونه مناسباً لهم، فقد اختلف أهُلها في منَ يقومُ والياً عليهم، ففريقٌ يري تولية مطرف بن عبد الرحمن، وفريق يري تولية رجل يدعى طريشة بن ماسوية وأمام هذين الرأيين قام الأميرُ محمد بتقسيمِ طليطلة وأقاليمها بين هذين الرجلين

وذلك بمشورة وزيره هاشم بن عبد العزيز [٣٧]، وقد كانت الغلبة فيما بعد لآخرهما [٣٨]

وقد كان غرض الأمير من هذا التقسيم هو أن يشغل أهل طليطلة بأنفسهم، ولكن اتخاذ الرهائن من أهالي طليطلة لم يقض على خروجهم المستمر والأحداثُ التاريخية تؤكد ذلك حيث إنه في سنة (٢٥٩هـ/٨٧٢-٨٧٣م) هاجم أهالي طليطلة حصن سكيان [٣٩]الذي يقطنه البربر فتلقي أهل طليطلة هزيمةً شديدً وقتل عددٌ كبيرٌ منهم [٤٠]، والمصادر التاريخية كعادتها تقف صامتة في أغلب الأحيان عن مصير هؤلاء الرهائن الذين أحتجزهم الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط!

(٣٧)هاشم بن عبد العزيز: أصله من موالي عثمان بن عفان الذين حازوا الرياسة والجلالة بالبيرة وعظم قدره بقرطبة عند الأمير محمد بن عبد الرحمن حتى صيره أخص وزرائه وأسند إليه أمور بلاده وعساكره وهو أحد رجالات المروانية بالأندلس، وقال ابن سعيد عنه (في المغرب): أنه أفسد الدولة أيام محمد بن عبد الرحمن، وكان على رأس جيش توجه إلى غرب الأندلس، فأسر، وفداه السلطان، فعاد إلى مكانته عنده؛ ولما مات الأمير محمد، وولي ابنه " المنذر " ولاه الحجابة مدة يسيرة، ثم نكبه، لأشياء حقدها عليه في خلافة أبيه، فحبسه وعذبه ثم قتله. ابن الآبار: الحلة السيراء، ج١، ص ١٣٧؛ ابن سعيد: المغرب، ج٢، ص ٩٤.

(٣٨)ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٧، ص ٢٦٥؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٣، ص ٣٩٠، ٣٩١.

(٣٩)حصن سكيان: يقع شمال غرب مدينة طلبيرة ويبدو أنه تحول فيما بعد إلى مدينة أهلة بالسكان؛ حمدي عبد المنعم: ثورات طليطلة، هامش ص ٧٣.

(٤٠)ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص٢٤٤؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٣، ص٣٩٠، ٣٩١.

رهائنُ مدينةِ ماردة:

لم تكفِ مدينة ماردة عن الثورات ضد الإمارة الأموية، ولكن هذه المرة كانت على يد عبد الرحمن بن مروان الجليقي (٤١)، وذلك ليكمل مسيرة والده مروان الجليقي في الثورة ضد الإمارة الأموية، وهو الذي قاد مدينة ماردة في الثورة على عهد الأمير الحكم سنة (٢٠١هـ/ ٨١٦م) (٤٢)، ومروان الجليقي قد عاد إلى الطاعة للأمير عبد الرحمن الأوسط وأنه جنح للطاعة الأمر الذي انتهي بقتله على يد الثوار في سنة (٢١٣ هـ/٨٢٨م) (٤٣).

وقد استغلَ عبدُ الرحمن بن مروان الجليقي ظروفَ المدينة الثائرة وموقعها المتميز وحصانتها الطبيعية وقوة أسوارها ومساعدة القوي المسيحية له ولاسيما أن مدينة ماردة كانت تضم جالية كبيرة من المولدين الذين ينتمي إليهم عبد الرحمن بن مروان الجليقي بالإضافة إلى طائفة قوية من نصارى الذمة، وكانت بحكم وقوعها على مقربة من مملكة أشتورياش تتلقي تشجيعاً من هذه المملكة على القيام بالثورة ضد قرطبة، وجنحت العناصر الغير عربية في ماردة إلى الارتباط بمملكة أشتورياش برابطة الحلف (٤٤).

ونجح عبد الرحمن بن مروان الجليقي ورفاقه في الإعداد لثورة جديدة لم تلبث أن تفجرت سنة (٢٥١هـ/٨٦٥م) (٤٥)وشملت الثورة ماردة ونواحيها وكانت مدينة ماردة في مقدمة القواعد

(٤١)نسب أسرة مروان الجليقي: أنظر ملاحق الرسالة، ص ١١٩.
(٤٢)ابن سعيد: المغرب، ج١، ص ٤٤١؛ سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ص٢٣٩.
(٤٣)سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ج١، ص ٢٤٠ - ٢٤٣.
(٤٤)سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ج١، ص ٢٣١.
(٤٥)سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ج١، ص ٢٤٠ - ٢٤٣.

التي يشك في ولائها وطاعتها، فلم يتردد الأمير محمد بن عبد الرحمن أن يتدارك هذا الخطر قبل أن يستفحل وأن يخمدَ نارَ الثورة قبل أن تأتي على كل البلاد التي في الغرب ولذلك قام بتسيير حملة بقيادة الوزير أمية بن عيسي بن شهيد سنة (٢٥٣هـ/٨٦٧م) ووافاه الأمير بنفسه في قوة إضافية فأحكم حصارها ودمر مزارعها، ثم قفل بعد شهر من وصوله، وفي العام التالي غزاها الأمير محمد بنفسه، وتمكن بعد حصاره لها وتخريب دعائم قنطرتها من السيطرة على الموقف، وكان ذلك سبباً في إذعان أهلها وبذلهم الطاعة له بعد أن سلموا له زعماء الثورة وعلي رأسهم عبد الرحمن بن مروان الجليقي وابن مكحول وشاكر ورقط وأولادهم و ذراريهم ليتخذهم رهائن يضمن بوجودهم في قرطبة انضواء ماردة إلى سلطانه، وتم هُدم أسوارِ مدينة ماردة والإبقاء على قصبة المدينة فقط لتكون مقراً للحاكم سعيد ابن العاص، ثم استعمل عليهم سعيد بن عباس القرشي والياً عليهم من قبله (٤٦).

معاملةُ الرهائنِ:

أراد الأميرُ محمد بن عبد الرحمن الأوسط أن يتخلص من عناصر الثورة العصيان في مدينة ماردة وذلك بأن يقوم بنقلهم إلى مدينة قرطبة ليظلوا تحت عينيه ويقوم بمراقبة تصرفاتهم وبذلك يضمن بوجودهم في قرطبة سيطرته على مدينة ماردة.

(٤٦)ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص ١٩٦؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ١٠٠؛ سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ج١، ص ٢٤٤؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١،ص ٣٠٠.

ولقد ظهر ذكاءُ الأمير محمد في معاملة رهائن مدينة ماردة، حيث إنه عمل على الاستفادة من هؤلاء الخارجين وعمل على تقريبهم إليه، والعمل لدي جيش الإمارة (٤٧)، وأقامَ عبد الرحمن الجليقي في ديوان الأمير محمد بقرطبة فترة من الوقت تقدر بسبع سنوات، كان خلالها موضع عناية الأمير واهتمامه بحيثُ أُعتُبرَ من الحشم، كما ظفر بثقة رجالِ الدولة والبلاط (٤٨)، والدليلُ على حسنِ المعاملة التي تلقاها رهائن مدينة ماردة هو سهولة هروبهم من قرطبة حيث نجح ابن عبد الرحمن الجليقي هو وأصحابه وذويه في الهروب بيسر شديد، وهذا يدل على أن الرقابة عليهم كانت منعدمة وذلك لأنهم لم يصدر عنهم محاولة للهروب طيلة السبع سنوات الماضية هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يؤكد أن سياسة الأمير محمد تجاه الرهائن واستمالتهم وإرضائهم بالمناصب جعلهم مخلصين له عدة سنوات.

وكادت سياسة الأمير محمد تؤتي أوكلها لولا تعرض عبد الرحمن بن مروان لسوء معاملة الوزير هاشم بن عبد العزيز، حيث وقعت مشادةٌ بينهما فأمرَ الوزير هاشم بن عبد العزيز بصفع قفاه واستذله بأن قال له: الكلب خير منك، فجعله يعجل بالفرار إلى الغرب، وفي نيته المعصية وخلع الطاعة (٤٩).

وبعض المؤرخين يرجع سبب هروب عبد الرحمن بن مروان الجليقي إلى رغبته الداخلية في الثورة والخروج وأنه لم يكن ليرضي بالتنعم هو وذويه في قرطبة ويتخلى هو ورفاقه عن قضية قومه في ماردة والغرب، بالإضافة إلى الشعور القومي الطاغي الذي كان يغمر جوانحه ويدفعه

(٤٧)عبد الفتاح عوض: فصول في تاريخ الأندلس، عين للدراسات والبحوث، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص ١٤.

(٤٨)ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ١٠٢؛عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ٣٠٤؛ سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ج١، ص ٢٤٥؛ عبد الفتاح عوض: فصول في تاريخ الأندلس، ص ١٤.

(٤٩)ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ١٠٢؛عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ٣٠٤؛ سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ج١، ص ٢٤٥؛ عبد الفتاح عوض: فصول في تاريخ الأندلس، ص ١٤.

دفعا إلى ترقب الفرص المواتية للحاق بقومه ورفع راية الثورة من جديد ضد الحكم الأموي، وأنه كانت تحدوه الرغبة في الزعامة المطلقة على بلاد الغرب (٥٠).

وهذا هو رأي بعض المؤرخين الغربيين أو ترديد لآرائهم، خاصة أنهم يرفعون شأن كل خارج ومتعاون مع نصارى الشمال ضد الحكم الأموي إلى مرتبة الأبطال.

حيث إنه طيلة السبع سنوات من سنة (٢٥٤-٢٦١هـ/٨٦٨- ٨٧٥م) لم يجد ابن مروان الجليقي فرصة للهروب هو وأصدقائه وأسرته من الرهن إلا عندما صفع على قفاه!.

ولكن سوء المعاملة التي تلقاها عبد الرحمن الجليقي وغيره من الزعماء الثائرين من كبار رجالات العرب الذين ليس لديهم القدرة على استمالة هؤلاء الثوار إلى جانبهم ونظرتهم إليهم نظرة احتقار وعنصرية، كانا هما السببان الرئيسيان فيما حدث للإمارة الأموية.

ونتيجةً لهروبه وخلعه الطاعة نعت بأحط الصفات كالغدرِ والخبثِ والشرِ والنفاقِ والبصر بالشر، فيخبر عنه ابن القوطية قائلاً " كان لابن مروان من العقل والكيد والبصر بالشر بحيث لم يوجد متقدم له فيه" (٥١)ويصفه ابن حيان بالخبث والمروق (٥٢).

(٥٠)سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ج١، ص ٢٤٥.
(٥١)ابن القوطية: تاريخ إفتاح الأندلس، ص ١٠١.
(٥٢)ابن حيان: المقتبس، محمود مكى، ص ٣٣٤؛ سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ج١، ص ٢٤٥.

هروبُ الرهائنِ وتأثيرِه على الأحداثِ السياسيةِ:

اتفقَ عبد الرحمن الجليقي مع أصحابه الذين كان الأمير محمد قد اتخذهم رهائن بعد أن تمكن من استنزال أهل ماردة في سنة (٢٥٤هـ/٨٦٨م)علي أن يخرجوا متفرقين في أوقات مختلفة وعلي طرق شتي على أن يتم اجتماعهم بحصن الثلج (٥٣)،وأفلح عبد الرحمن الجليقي في الفرار من قرطبة في سنة (٢٦١هـ/٨٧٠م)مع ابنائه الثلاثة منتصر ومروان ومحمد، وكذلك أصحابه (٥٤)وبعد وصولهم لحصن الثلج أشاعوا أن الأمير محمد قد مات وأعلنوا خروجهم عن الدولة الأموية وأخذوا يبثون الغارات في نواحي الحصن ويسلبون وينهبون (٥٥)، ولما كان من الصعب على عبد الرحمن الجليقي الدخول إلى مدينته لجا إلى بعض الحصون مع أنصاره في قلعة الحنش (٥٦)الواقعة جنوب شرق ماردة (٥٧)فملكها وامتنع بها (٥٨).

فعمل على إطلاق الغارات على أهل الطاعة وكل من يدين بالطاعة للحكومة المركزية في جميع النواحي، وأوقعوا بكل من التقوا به من أتباع الدولة وأولي الأمر فيها من ولاة وعسكر وفرسان فكانوا يرجلونهم عن خيولهم، ويسلبون أمتعتهم وثيابهم ثم امتدت أيديهم إلى خيول العرب والبربر الذين ينزلون فيما جاورهم من القري والضياع، فجمعوا منها في خمسة أيام خمسمائة

(٥٣)حصن الثلج: هو موضع قريب جدا من قلعة الحنش التي لاذ بها عبد الرحمن بن مروان الجليقي؛ ؛ سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ج١، ص ٢٤٨.

(٥٤)ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص ٢٥٩؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ١٠٠.

(٥٥)سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ج١، ص ٢٤٩.

(٥٦)قلعة الحنش: موضع قريب من بطليوس يتصف بالمنعة والحصانة، والإسم ربما يكون مشتقا من الكلمة الأسبانية الأيبرية (Lanca)التي تعني عين، والظاهر أنها كانت عين ماء رومانية. لمزيد من التفاصيل أنظر: سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ج١،هامش ص ٢٤٨، ٢٤٩.

(٥٧)عبد الفتاح عوض: فصول في تاريخ الأندلس، ص ١٤.

(٥٨)ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص ٢٥٩؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ١٠٢.

فرس، وأشاعوا الذعر وبثوا الرعب في نفوس الناس، ففر سكان هذه النواحي من البسائط إلى قمم الجبال والحصون، وأرسلوا إلى الأمير محمد يستعينون به، وفي تلك الأثناء استولى مكحول بن عمر زميل الجليقي على قلعة جلّمانية [٥٩]القريبة منها، واجتمع إليهما جمع غفير من المارقين، فلما اشتد عيثهما خرج إليهم الأمير محمد بقوة كثيفة من عسكر قرطبة لقتالهم سنة (٢٦١هـ/٨٧٥م) [٦٠].

عبد الرحمن بن مروان الجليقي يقدم الرهائن للأمير محمد:

عندما علم عبد الرحمن بن مروان الجليقي في قلعة الحنش، ومكحول في جلمانية بقرب وصول الأمير محمد، حشد أعدادا غفيرة من المولدين الثائرين واستغاثا بزميلهما القديم سعدون بن عامر المعروف بالسرنباقي [٦١]، وهو أيضاً من زعماء الثوار المولدين وكان يعيش في كنف

(٥٩)قلعة جلّمانية: هي قلعة حصينة قريبة من قلعة الحنش، وهي الآن مدينة (Jurumenha)البرتغالية الحالية، وهي من أعمال مدينة يابرة (Evora)إحدى المقاطعات الشرقية في البرتغال، وتقع جلمانية على بعد خمسة وعشرين كيلو مترا إلى جنوب شرق بطليوس على الضفة اليسري لوادیانة، وقد تحولت مدينة جلمانية في أواخر القرن (السادس وأول السابع الهجري/ الثاني عشر والثالث عشر الميلادي)إلي مركز من أهم مراكز المثاغرة والجهاد ضد النصارى في الأندلس؛ سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ج١، هامش ص ٢٥٠.

(٦٠)ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ١٠٢؛ سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ج١، ص٢٤٩، ٢٥٠.

(٦١)سعدون بن فتح السرنباقى: هو صديق ابن مروان الجليقي، وناصره في العديد من المواقف أثناء ثورته ضد الأمير محمد، كان فارسا شجاعا في ميدان القتال، وفي عهد الأمير محمد أسره النورمان الخارجون بساحل الأندلس الغربي وفداه بعض اليهود إلى الجبل الذي نسب إلى قلنبرية وشنترين، وعاد إلى حياة المغامرة والسلب والنهب إلى أن قتل على يد ألفونسو الثالث ملك ليون. ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ٤٣؛ سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ج١، ص ٢٧٩.

ألفونسو الثالث [٦٢]ملك ليون (٢٥٢-٢٩٨هـ/٨٦٦-٩١٠م)في مدينة برتقال [٦٣]جنوبي جليقية، فاستأذن سعدون من الملك ألفونسو الثالث في التوجه لمساعدتهم، فلم يترددْ ألفونسو في السماح له بمساعدة رفاقه في الشقاق وتحمس لذلك كثيراً إذ وجد في ذلك إضعافاً لقوي المسلمين وتمزيقاً لوحدتهم وتشتيتاً لجهودِ الدولة الأموية [٦٤]، فلم يلبث سعدون أن توجه في قوة كبيرة من أتباعهِ وانضم إلى قوات ابن مكحول، ولكثرة القوات المجتمعة في قلعة جلمانية توجه الأمير محمد بقواته لمحاصرة قلعة الحنش وذلك بناءً على نصيحة وزرائه الذين قالوا له: " الجمع بجلمانية كثيف ولسنا نأمل أن نظفر بهؤلاء المارقين فيها على قلتنا فيقتصوا منك" [٦٥]، ثم أقنعوه بالبدء بالأسهل وهو عبد الرحمن بن مروان الجليقي في قلعة الحنش [٦٦]فضرب الأمير الحصار حول القلاع الثائرة وأمر بجمع الجيف الميتة من معسكره وأمر بإلقائها في الآبار التي يشرب منها الثوار المحاصرين حتى أن ماءها داد وفسد وأصبح لا يصلح للشرب، وفي نفس الوقت رتب وضع الرماة على ضفة النهر يحمون قواته عند وردهم للسقاية ويمنعون الثوار من مياهه فنجحت خطته وأشرف الثوار على الهلاك من العطش، ولما هم الثوار بالاستسلام فطنوا إلى إمكانية حفر عدد من الآبار خارج سور حصنهم والتوصيل بينهم عن طريق شبكة

(٦٢)ألفونسو الثالث: تولي الحكم سنة (٢٥٢- ٢٩٨هـ/٨٦٦-٩١٠م)وكان قد حكم أربع سنوات حكما مشتركا و١٣سنة منفردا، فقد كان أسند إلى أردون (Ordona)حكم مملكة جليقية في حين تولي ابنه الأكبر غرسيه (Garcia)حكم مملكة ليون وابنه فرويله (Fruela)حكم إشتوريش، ونونة فراند (NunoFernadez)حكم قشتالة، أما ابنه أردون فقد عهد أبوه ألفونسو الثالث إلى بني موسي بن قسي بتنشئته فعاش في كنفهم حتى سنة (٢٧٣هـ/ ٨٨٦م)وفي سنة (٢٧٩هـ/ ٩٨٢م)أسند إليه أبوه حكم مملكة جليقية فظل يتولاها إلى أن توفي أخوه الأكبر غرسيه في سنة (٣٠٢هـ/ ٩١٤م)وأستقر في مدينة ليون التي أصبحت مركزا للإدارة والحكم، أما ألفونسو فقنع بالمقام في سمورة في رفقة زوجته خمينة، إلى أن توفي سنة (٢٩٨هـ/ ٩١٠م)أثر مرض قصير وقد بلغ من العمر (٦٢ عاما). سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ج١، ص ٣٠٥.

(٦٣)مدينة برتقال:تقع جنوبي جليقية وهي تعني في الجغرافية الأندلسية ثغر بورتو، فهي تقع في أقصي شمالي البرتغال، وفي شمال قُلْمرية، ومن ثم فإن المرابطين لم يصلوا في زحفهم إليها ولم يفتتحوها. عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج٣، ص ٧٠.

(٦٤)عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ٣٠٤؛ سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ج١، هامش ص٢٥٠، ٢٥١.

(٦٥)سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ج١، ص ٢٥٢.

(٦٦)ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ١٠٢؛ سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ج١، ص ٢٥٢.

مائية من السروب الأرضية فتمكنوا بهذه الطريقة من استخراج الماء العذب فرفع ذلك من معنوياتهم وزادت طاقتهم للصمود وبذلك لم يبق للأمير محمد سوي ضرب الثوار بالحصارِ الطويل حتى تنفذ مؤن الثوار وهو يضربهم بالمنجنيق فلما طالت الحال بالثوار كتب عبد الرحمن الجليقي إلى الأمير محمد كتابا يسترحمه ويسأله الأمان، وكاد الأمير محمد يستجيب إلى ملمسه لولا جرأة أحد رجاله من رؤساء البحريين يدعى ابن اللغام الذي أقسم له ألا يؤدي صلاة الظهر إلا بداخل قلعة الحنش بعد افتتاحها (٦٧).

فاستأنفت المعارك وسقطت حصونهم الواحد تلو الآخر، فأنسحب الثوار إلى المواقع المرتفعة حتى لا تصل إليهم سهام الرماة واستمر القتال حتى وقت الزوال فلما توقف القتال عاد ابن مروان الجليقي في الصباح إلى طلب الأمان بعد أن اشتد عليه الأمر وتحرج موقفه، ويئس من الصمود وأثر أن يوسط الأمير عبد الله ولي العهد وطلب منه الشفاعة عند أبيه الأمير، ويبدو أن العلاقة بين الأمير عبد الله وعبد الرحمن الجليقي كانت طيبة وربما كانت تربطهما صداقة ما نمت بينهما عندما كان ابن مروان الجليقي رهينة بديوان الأمير بدليل أن ابن مروان الجليقي يعرف عن الأمير عبد الله الكثير كلين العريكة وشدة الحب للعافية، فاستغل ذلك أحسن استغلال عندما طلب منه الوساطة عند أبيه الأمير محمد (٦٨)، فتوسط عبد الله لدي والده الأمير وألح حتى أسعفه بما طلب ووافق على منح الأمان للثائر على أن ينزل له عن قلعة الحنش ولكن ابن مروان الجليقي أخذ يشكو للأمير " ثقل الظهر وضيق الحال" فسأل الأمير

(٦٧)سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ج١، ص ٢٥٤.
(٦٨)عبد الله عنان: دولة الإسلام: ج١، ص ٣٠٤؛ سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ج١، ص ٢٥٥.

أن يأذن له بالرحيل إلى بطليوس وكانت يومئذ قرية خالية مجردة من الحصون فينزلون بها، ويقومون بتعميرها (٦٩).

وتم الأمرُ على ذلك، وأصدر الأمير محمد منشوراً بهذا المعنى، ولضمان انضواء عبد الرحمن بن مروان تحت لواء الأمير وخضوعه له، طلب الأمير محمد عدداً من الرهائن، فلم يتردد عبد الرحمن بن مروان الجليقي في أن يقدم من قبله ثلاثون رجلاً من قومه رهائن يصحبهم الأمير معه إلى قرطبة، ومعهم ولده محمد بن عبد الرحمن وحفيده عبد الله بن محمد ابن عبد الرحمن (٧٠).

وعلي هذا الأساس تم الاتفاق وقفلَ الأميرُ بحشوده إلى قرطبة، بينما اتجه عبد الرحمن ابن مروان الجليقي إلى بطليوس وعمرها وأخذ في تحصينها وإعدادها للدفاع والمقاومةِ، وبعث جواسيسهُ إلى قرطبة، يتعرفون أخبار الأمير ويترصدون حركاته ويبعثون بها إليه تباعاً ثم عقد حلفاً مع ألفونسو الثالث ملك ليون (٧١)، ولم يلبث أن عاد إلى المجاهرة بالعصيان في سنة (٢٦٢هـ/٨٧٥م)، وأخذ يغير على الأنحاء المجاورة لبطليوس ويرهق أهلها ويسلب أموالهم ومتاعهم وتمكن من الاستيلاءِ على بعض المدنِ مثل طبلاطة (Tablada) وأكشونية، فأزعج الأمير محمد لهذه الأخبار وعزم على معاقبته ويقمع شره بطريقة حاسمة، فجهز إليه حملةً كبيرةً برياسة ولده المنذر وجعل قيادتها لوزيره هاشم بن عبد العزيز (٧٢). وسارت هذه الحملة صوب بطليوس في شهر شعبان سنة (٢٦٢هـ/٨٧٦م)، فلما علم عبد الرحمن بن مروان بمقدم جند

(٦٩)ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص ٢٥٩؛؛ ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص ١٦٨.
(٧٠)ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ٣٣؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام: ج١، ص ٣٠٤؛ سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ج١، ص ٢٥٧.
(٧١)ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ٣٣؛ سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ج١، ص ٢٥٢.
(٧٢)ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص ٢٧٠؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ١٠٠.

الأمير عن طريق أعوانه وجواسيسه في بلاط الأمير بقرطبة اتَّخَذَ أهبته، وشعر بصعوبة الدفاع عن بطليوس لاتساعها، فغادرها مع قواته، وانضم إليه كثيرٌ من المولدين من الأنحاء المجاورة ممن خشوا بطش قوات الأمير بهم، ونزل بحصن كركي (٧٣)أو كركر (٧٤)القريب وامتنع به، وبعث إلى سعدون السرنباقي في طلب النجدة وجاءَ بمدد كبير من الجلالقة (٧٥).

وسارَ المنذرُ وهاشم إلى بطليوس فألفياها خالية فسارا في أثره واحتل هاشم حصن منت سلود (منت شلوط)الواقع جنوبي بطليوس خوفاً من أن يحتله الثوار وضرب المنذر الحصار حول حصن كركي (٧٦)، وفي تلك الأثناء قدم سعدون السرنباقي واشتبك في طريقه بحامية كانت موجودة بمدينة قُلُمرية، وهم قومٌ من البربر من بني دانس من مصمودة وفتك بهم وكانوا على الطاعة فبعثوا إلى هاشم بن عبد العزيز يستغيثون به، ووقف هاشم من طلائعه على مقدم سعدون وقواته، وما فعله بأهل قلمرية فخرج إلى لقائه متحمساً تواقاً إلى الانتقام، وكان سعدون قائداً مجرباً وافر الجرأة (٧٧)، وكانت لديه فرق مختارة من الفرسان والرماة، فرتب معظم قواته وراء التلال، وتقدم للقاء قوات هاشم، واعتقد هاشم أنه يستطيع سحق الثوار بأيسر أمر، والتقي الفريقان في مخاضة النهر جنوبي بطليوس وفاجأت خيل سعدون قوات الأندلس وأرهقتها وكثر فيها القتلُ، وتقدم هاشم بن عبد العزيز إلى المعمعة بعيداً عن مركز قيادته فأصابتهُ جراحٌ وأحاطت به فرسان العدو وكادت تجهز عليه لولا أن عرفه بعضهم فقبض عليه، وحمله معه سعدون أسيراً إلى حصن منت سلود وكانت قوات الأمير قد غادرته، وهزمت قوات الأندلس

(٧٣)حصن كركي: كركي بالتحريك اسم حصن من أعمال أوريط بالأندلس له ولاية وقرى؛ ياقوت الحموى: معجم البلدان، ص ٤٥٤.
(٧٤)ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص ٢٧٠.
(٧٥)ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص ٢٧٠؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ١٠٢؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام: ج١، ص ٣٠٦.
(٧٦)ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص ٢٧٠.
(٧٧)ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ٤٣.

وأسر قائدهم على هذا النحو، في الثاني عشر من شهر شوال سنة (٢٦٢ هـ /يونيه ٨٧٦م) (٧٨).

ولما علمَ المنذر بن محمد بما وقعَ لجنده من الهزيمة وأسر هاشم وكان مقيماً على حصار الجليقي شدد في الحصار أياماً أُخر، ثم انصرف قافلا ببقية الجند إلى قرطبة. وسار الجليقي وسعدون ومعهما أسيرهما القائد هاشم غرباً وهما يعيثان فساداً في الأرض، وحصل الجليقي أولا على هاشم، فاختلي به وبدأ معه حوارا عنفه فيه إذ أخذ يذكره بإهانته له ولزملائه في دار الرهن بقرطبة، ولم يلبث عبد الرحمن الجليقي أن أحتد في الحديث على هاشم وهم بالوثوب عليه ولكن هاشم خفف من ثورته وحمله على الاستحياء وأنه نال كفايته بسبب ذنبه وقد قضي الله قضاءه، ويذكر ابن حيان أن عبد الرحمن الجليقي قال له" أما علمت أنه لا ينبغي للمقتدر أن يغتر بقدرته فإن قدرة الله فوقه؟ أتذكر قولك لي ولأصحابي هؤلاء بقرطبة، وقد أريناك الخبز الذي يقطع لنا ومحاكاته الزفت في لونه وسألناك غيره؟ فالحمد الله الذي حكم بالعدل ووطأ من نخوتك" (٧٩).

والنص الذي أورده ابن حيان يدل دلالةً واضحةً على سوءِ المعاملةِ التي تلقاها الثوار الرهائن في قرطبة من كبار رجالات العرب في الأندلس، رغم مكانة الثوار عند الأمير محمد ورفعة شأنهم، وذلك لأنه جعلهم ضباطاً في جيشهِ ومن حاشيته، ورغم ذلك يزدري بهم رجاله، ويذكر ابن عذارى: أن ابن مروان الجليقي بره وأكرمه وأحسن إليه ولم يعاقبه بفعلته (٨٠).

وهنا لابد من وقفة مع النص

(٧٨)ابن حيان: المقتبس، تحقيق إســماعيل العزب، ص ٣٣؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ١٠٢؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام: ج١، ص ٣٠٦.
(٧٩)سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ج١، ص ٢٦٦.
(٨٠)ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ١٠٢.

يتضح أن السببُ الذي أجبر عبد الرحمن بن مروان الجليقي على عدم معاقبة الوزير هاشم هم الرهائن المحتجزون في قرطبة، فإنه خشي بإساءته للوزير هاشم أن ينكلُ الأمير محمد برهائنه، فنجدُ أن عبد الرحمن بن مروان الجليقي يوافق على إرسال الوزير هاشم إلى ألفونسو الثالث، رغم أنه كان يأمل أن يتخذه أداةً للمساومةِ مع الأمير حتى يفرجَ عن رهائن قومه ويردهم إلى بلدهم، ولكن سعدون استرده منه فيما بعد، خوفاً من غضب سيده وحاميه ألفونسو الثالث ملك ليون وتوجه به سعدون بالفعل إليه (٨١)فوافقه عبد الرحمن بن مروان الجليقي لأنه صاحب الفضل في أسره (٨٢). ويبدو أن عبد الرحمن بن مروان الجليقي واثق تماماً أن الأمير محمد لم يلجأ إلى قتل الرهائن طالما أنه لم يقتل وزيره.

وسخط الأمير محمد عندما علم بما حدث لوزيره ثم قال " هذا أمر جناه هاشم على نفسه، وقد أوقعه فيه طيشه وعجلته" (٨٣)ورغم هذا الحدث إلا أن الأمير محمد لم يستخدم ورقة الرهائن للضغط على عبد الرحمن الجليقي الذي نال من هيبة الإمارة الأموية بأسره للوزير هاشم.

واستمرَ ابن عبد الرحمن بن مروان الجليقي أعواماً وهو يسيطر على منطقة بطليوس، ويعيث في أنحائها فساداً ويخرج منها للإغارة على ناحية الغرب حتى أشبونة وجنوباً حتى باجة وأطراف أكشونبة ثم إن بعض أصحابه اختلفوا معه وغادروه إلى بلدهم ماردة بعد أن حصلوا على أمان من الأمير، ولما شعر بقلة جمعه وخشي مطاردة الأمير وانتقامه عول على أن يحذو حذو صاحبه سعدون في الالتجاء إلى ملك جليقية فقبل الملك النصراني التماسه، وأنزله مع صحبه

(٨١)ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص ١٦٨؛ رينهارت دوزى: المسلمون في الأندلس، ج١، ص١٣٦.
(٨٢)سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ج١، ص ٢٦٨.
(٨٣)ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ١٠٣؛ رجب عبد الحليم: العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية، ص ١٤٦.

حصن بطرلسة [٨٤]بوادي دويرة على مقربة من ليون، ولبث في كنفه أعواماً [٨٥]، وظل الوزير هاشم أسيراً بمدينة أوبييدو زهاء عامين [٨٦]وعاد في سنة (٢٦٤هـ/ ٧٧٨م)من الأسر لقاء فدية ثقيلة [٨٧]بلغت مائة وخمسين ألف دينار [٨٨]ورضي الأمير محمد بدفع جزء من الفدية المطلوبة كما تعهد لملك ليون بدفع البقية فيما بعد، وأسلمه للوفاء بعهده إخوة الوزير هاشم وابنه وابن أخيه رهائن [٨٩]، ولم يلبث هاشم أن استعاد مكانته في البلاط، فأعاده الأمير محمد إلى القيادة مع الوزارة في سنة (٢٦٦هـ/٨٧٩م)وأخذ يغزو الثائرين والمتمردين [٩٠].

وفي تلك الأثناء دبَّ الخلافُ بين عبد الرحمن الجليقي والملك ألفونسو الثالث بسبب غارة قام بها ملك جليقية في منطقة بطليوس ومعه عبد الرحمن بن مروان، وفيها بالغ الملك النصراني في قتلِ المسلمينَ، ومعظمهم من أصحاب ابن مروان ورعاياه السابقين سنة (٢٦٦هـ- ٨٧٩م) [٩١]، فغادره عبد الرحمن بن مروان مغضباً وعاد إلى منطقة بطليوس، ليستأنف غاراته وعيثه في أراضي النواحي المجاورة، وفي سنة (٢٧١هـ/٨٨٥م)سيَّر إليه الأمير محمد ولده المنذر في قوة كبيرة، فزحف على بطليوس ففرَ منها عبد الرحمن بن مروان وتحصن بجبل " أشيروغيره " فأحرقَ المنذر بطليوس ودمرَ حصونها [٩٢]، وفي العام التالي سارت حملة أخرى بقيادة الوزير

(٨٤)بطرلسة: لعله محرف من بطريشة الذي يعرف اليوم بإسم لابدراخة (La padraja)، وهي بلدة على بعد ٢٠ كيلو متر إلى جنوب بلد الوليد كما تبعد عن مجري نهر وادي دويرة بنحو عشرة كيلو مترات؛ سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ج١، ص ٢٧٢.

(٨٥)سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ج١، ص ٢٧٢.

(٨٦)رجب عبد الحليم: العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية، ص ١٤٦.

(٨٧)ابن حيان: المقتبس؛: إسماعيل العزب، ص ٣٣.

(٨٨)ابن القوطية: تاريخ إفتتاح الأندلس، ص ١٠١؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ١٠٣؛ رينهارت دوزى: المسلمون في الأندلس، ج١، ص١٣٦.

(٨٩)رينهارت دوزى: المسلمون في الأندلس، ج١، ص١٣٦.

(٩٠)سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ج١، ص ٢٦٨.

(٩١)عبد الله عنان: دولة الإسلام، ص٣٠٦، ٣٠٧؛ رجب عبد الحليم: العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية، ص ١٤٦.

(٩٢)ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص ٣٤٣.

هاشم إلى " أشيروغيره " لقتال عبد الرحمن بن مروان، فحاصره حينا ثم ارتد عنه دون إخضاعه، ولما أعيا الأمير أمره وجه إليه أميناً فقال له: "يا هذا قد طال غمنا بك وغمك بنا عرفنا بمذهبك، فقال لهم مذهبي أن يباح لي البشرنل أبتنيها وأمدنها وأعمرها وأقيم الدعوة ولا تلزمني جباية ولا طاعة في أمر ولا في نهي.." (٩٣)ووافق الأمير محمد إلى قبول شروطه في الاستقلال بحكم بطليوس وما جاورها والإعفاء من المغارم والفروض (٩٤). فصفت طاعة عبد الرحمن بن مروان الجليقي إلا أن الوزير هاشم أراد الانتقام وأن يأخذ الثأر في عبد الرحمن بن مروان، وقال للأمير محمد " إنما كان تعاصي أمر بن مروان علينا بأنه كان هو وأصحابه على ظهور خيولهم، ينتقلون من موضع إلى موضع، وقد صار الساعة في دور وقصور وبساتين محيطة بها فلنخرج إليه فإني أرجو أن يظفر الله به، ويخرج معي الولد عبد الله"، فخرج في حملة إلى إشبيلية ثم انتقل إلى لبلة وذلك في سنة (٢٧٢هـ/ ٨٨٥م)، فلما بلغ عبد الرحمن بن مروان الخبر أدرك الأمر بعقله وذكائه، فكتب إلى الأمير محمد: "بلغني أن هاشما خرج إلى جهة الغرب ولست أشك أنه قد أطمعه في أخذ الثأر مني كوني في حصن وغلق، وبالله لئن جاز لبلة إلى لأضرمن بطليموس بالنار ثم أعود إلى حالي الأول معك. فلما قرأ الأمير محمد كتابه أمر بصرف ابنه الأمير عبد الله والوزير هاشم من الطريق فانصرفا " (٩٥).

وفي ظل هذه الأحداث المتتالية لم يردْ ذكر الرهائن حيث صمتت المصادر عن ذكر أخبارهم، والغريب في هذا الشأن أن الأمير محمد لم يستخدم ورقة الرهائن إطلاقا في تهديد بن مروان الجليقي، ومن المحتمل أن يكون قد أطلق سراحهم خلال تلك الأحداث.

(٩٣)ابن القوطية: تاريخ إفتاح الأندلس، ص ١٠٢.
(٩٤)عبد الله عنان: دولة الإسلام، ص٣٠٦،٣٠٧.
(٩٥)ابن القوطية: تاريخ إفتاح الأندلس، ص ١٠٢؛ رجب عبد الحليم: العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية، ص ١٤٦؛ سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ج١، ص ٢٨١.

وكان الثوار كلما ظهروا بمظهر القوة أبدت حكومة قرطبة من جانبها مظاهر التراخي والجبن، ذلك أنها في كل مرة تتسامح فيها مع الثوار أو تعقد معهم معاهدة كانت تفقد شيئا من الهيبة التي هي أحوج ما تكون إليها لتفرض احترامها على شعب ثائر غاضب يفوق سادته عددا [٩٦]، ولم يلجأ الأمير محمد إلى استخدام ورقة الرهائن للضغط على عبد الرحمن بن مروان الجليقي، الذي لم يبالِ إطلاقاً بهيبةِ الإمارة أو مصالحها، ولو استخدم الأمير محمد هذه الورقة لحدث تغيرٌ كبيرٌ على الساحة السياسية آنذاك.

بنو قسي والأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط:

ظل بنو قسي يذعنون بالطاعة للأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط (٢٣٨-٢٧٣هـ/ ٨٥٢-٨٨٦م) خلال السنوات الأولي من حكمه حيث كان إسماعيل بن موسي رهينة في قرطبة منذ سنة (٢٣٥ هـ/ ٨٤٩م) [٩٧]، لذلك أظهر والده موسي القسوي الطاعة للأمير محمد واشترك معه في صائفة سنة (٢٤١هـ/٨٥٥م) المتوجهة إلى منطقة ألبة والقلاع [٩٨]، واستجاب موسي القسوي لأوامر الأمير محمد بغزو الثغر الأعلى سنة (٢٤٢هـ/٨٥٦م) فتمكن موسي من افتتاح المنطقة واسترداد حصن طراجة [٩٩]من أيدي الفرنجة [١٠٠].

(٩٦)رينهارت دوزى: المسلمون في الأندلس، ج١، ص١٣٧.
(٩٧)ابن حيان: المقتبس، تحقيق محمود مكى، ص ١٤٦.
(٩٨)ابن حيان: المقتبس، تحقيق محمود مكى، ص ٣٠٤؛ ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص ١٦٧.؛
(٩٩)حصن طراجة: قلعة حصينة وهي تقع آخر أحواز برشلونة؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص ١٢٦؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٩٥.
(١٠٠)ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٩٥، ٩٦؛ ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص ١٦٧.

وقد كان لوجود إسماعيل بن موسي القسوي في الرهن لدي الأمير محمد تأثيرٌ مباشرٌ على الأحوالِ السياسيةِ في منطقة الثغر الأعلى وبوجوده في قرطبة ضمن الأمير محمد ومن قبله الأمير عبد الرحمن الأوسط ولاء موسي القسوي ووقوفه سداً منيعاً ضد أطماع النصارى والفرنجة في الشمال.

أما عن حالِ إسماعيل في الرهن فلم تخبرنا المصادر بتفاصيل عن وقت خروجه من الرهن، وأن إسماعيل لم يظهرِ في الأحداثِ التاريخيةِ إلا في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط (٢٣٨ - ٢٧٣هـ/٨٥٢ - ٨٨٦م)، حيث لم تُجدِ حسن المعاملة التي تلقاها إسماعيل بن موسي من قبل الأمير عبد الرحمن الأوسط نفعاً، ونجدُ أن الأمير محمد ولي إسماعيل ابن موسي بعض الحصون في الثغر الأعلى ليختبر طاعته واستقر بمنت شون [١٠١] ملتزماً بالطاعة في الظاهر [١٠٢].

وزحفَ مطرف وأخوه إسماعيل ابنا موسي بن موسي على تطيلة فانتزعاها من حاكمها عبد الوهاب بن مغيث [١٠٣]، كما انتزعا سرقسطة من ولده محمد بن عبد الوهاب، وملك مطرف تطيلة في صفر سنة (٢٥٨ هـ/٨٧١ م) وملك إسماعيل سرقسطة في ربيع الأول من نفس العام [١٠٤]، وقبضوا على أبناء عبد الوهاب بن مغيث وسجنوهم مع أبيهم، وباين إسماعيل بالخلعان فغزته الصوائف وترددت عليه الجيوش، ثم اتجه إلى لاردة فقبض عليه عبد الله بن

(١٠١)منت شون: (Monzon)الشين معجمة وآخره نون حصن من حصون لاردة بالأندلس قديم بينه وبين لاردة عشرة فراسخ وهو حصين جدا تملكه الأفرنج سنة ٢٨٤؛ ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج٥، ص ٢٠٧.

(١٠٢)ابن حيان: المقتبس، ص ٢٣٥؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ٢٦٦، ٢٦٧؛ كمال السيد: المولدون في منطقة الثغر الأعلى الأندلسي، ص ٥٧.

(١٠٣)عبد الوهاب بن مغيث: المعروف (بوهيب)بن أحمد بن عبد الواحد بن مغيث الرومي عامل الأمير محمد على الثغر الأعلى ، وأحد أفراد أسرة بني مغيث المشهورة و التي تولي الكثير من أفرادها مناصب الحجابة والوزارة والقيادة لبني أمية؛ كمال السيد: المولدون، ص ٩٨.

(١٠٤)ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ١٠١؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ٣٠١.

خلف بن راشد عامل بربطانية [١٠٥] بحصن منت شون فدفعه الأمير محمد في غزوته سنة (٢٥٩ هـ /٨٧٢م)ولما قفلت الصائفة أطلق الأمير محمد سراحه، وتمكن من خداع عبد الله بن خلف بن راشد عامل بريطانية، فصاهره وتزوج من ابنته " سيده " فأنجب منها ولداً سماه محمد، وأعد له عقيقه بحصن منت شون وبعث إسماعيل إلى صهره عبد الله وأولاده ليحضروا عقيقته، فقدموا عليه بمنت شون، حيث أمر بالقبض عليهم وقتلهم وخاصة عندما علم بقدوم جيش الأمير عليه واستولى إسماعيل على أعمال ابن خلف مثل بربشتر والقصر و بربطانية كلها، وجاهر بالعداء للأمويين وعظم شره، فأرسل إليه الأمير محمد عدة حملات فيما بين سنتي (٢٦٤- ٢٦٨هـ/٨٧٧- ٨٨١م)عاثت فساداً في ملك إسماعيل بن موسي ونجحت في استرداد بعض الحصون مثل برجة وطرسونة وورطة، ولكنهم لم يستطيعوا إنهاء عصيانه، وذلك ربما يرجع للتحالف الذي عقده بنو قسي مع ألفونسو الثالث وملك إشتوريس وليون ومساعدته لهم مكنته من الصمود أمام الحملات الأموية المتتالية [١٠٦].

وفي أعقاب ذلك دخلَ إسماعيل في معارك مع ابن أخيه محمد بن لب ونشبت بينهما معارك في قلهرة انتهت بانتصار محمد بن لب وأسر عمه إسماعيل وبني عمه وحبسهم إلى أن سلم له إسماعيل سرقسطة وتطلية وبلتيرة، وذلك في سنة (٢٧٠هـ /٨٨٣ م) واتجهَ إسماعيل بعد ذلك إلى حصن منتون فأقام فيه البقية الباقية من عمرهِ وتوفي في سنة (٢٧٦هـ / ٨٨٩ - ٨٩٠م) فآل حصن منت شوم إلى ابن أخيه محمد ابن لب القسوي [١٠٧].

---

(١٠٥)بربطانية: فتح الباء الثانية وطاء وألف ونون مكسورة وياء خفيفة وهاء مدينة كبيرة في الأندلس، يتصل عملها بعمل لاردة، وكانت سَدّاً بين المسلمين والرُّوم، ولها مدن وحصون، وفي أهلها جلادة وممانعة للعدو، وهي في شرقي الأندلس؛ ويسميها صاحب نفح الطيب: كورة برطانية، بياء واحدة، لا بيائين، وهو الأقرب للأصل الإسباني، وهو يذكر بأنّها كورة، فيقول: كورة برطانية، وقد أطلق اسم المدينة على الكورة. ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج١، ص ٣٧١؛ محمود شيت خطاب: قادة فتح الأندلس، ج١، ص ٧٥.

(١٠٦)العذرى: نصوص عن الأندلس، ص ٣٢، ٣٣؛ كمال السيد: المولدون في الثغر الأعلى ، ص ٦٣.

(١٠٧)العذرى: نصوص عن الأندلس، ص٣٤.

لبُ بن موسي القسوي:

بعد أن مات موسي القسوي سنة (٢٤٨هـ/ ٨٦٢م) خلفه في حكم الثغر الأعلى أبناؤه الأربعة وهم لب وإسماعيل وفرتون ومطرف، وخلف لب أباه موسي القسوي على معظم ما كان بيده في الثغر الأعلى عقب وفاته في سنة (٢٤٨هـ/ ٨٦٢م) (١٠٨).

ويذكر العذري أن لب بن موسي القسوي كان رهينة بقرطبة عند الأمير محمد ولم يبن لنا أسباب رهنه، ويذكر أن الأمير محمد أثناء غارة النورمانديين على إشبيلية سنة (٢٤٥هـ/٨٥٩م) أطلقه الأمير محمد وقوده وأخرجه إليهم، فانهزم المجوس، وعاد لب بن موسي إلى قرطبة حيث أكرمه الأمير محمد وأهدي له جارية تسمي عجبا، وأمره بالتوجه إلى الثغر الأعلى، فقام ببناء حصن بقيرة الذي تولي حكمه (١٠٩).

هذا الخبر نستدل من خلالهِ على عدة حقائق: أولها أن لب بن موسي كان شاباً، ثانيها: أنه كان يخالط الأمير محمد لذلك عرف كفايته ومقدرته الحربية فولاه قيادة بعض الفرق لمواجهة النورمانديين، ونستدل مما سبق أنه كان يتلقى معاملة حسنة في الرهن.

وكان لب أثناء حياة أبيه يتولى حصن بقيره الذي قام ببنائه وتعميره، وفي سنة (٢٥٧هـ/٨٧٠م)خلع لب بن موسي طاعة الأمير محمد وتحالف مع غرسيه بن ونقه ملك نبره وتقلد على منطقة الثغر الأعلى في سنة (٢٥٨هـ/٨٧٢م)، وأسر عمال الأمير محمد بها،

(١٠٨)العذرى: نصوص عن الأندلس، ص٣٠، ٣١؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٩٧.
(١٠٩)العذرى: نصوص عن الأندلس، ص٣١.

وقام بتعيين أخيه فرتون على تطلية، ومطرف على وشقة، فلما علم الأمير محمد بتمرد بني قسي وما أحدثوه خرج بنفسه إلى الثغر الأعلى سنة (٢٥٩هـ/٨٧٣م)، وشن عدة هجمات على أراضي بني قسي غير أنه لم يتمكن من القضاء على نفوذهم رغم أنه أسر مطرف بن موسي وعاد به إلى قرطبة فأمر بقتله هو وبنيه سنة (٢٥٩هـ/٨٧٣م) (١١٠)، ولم يتمكن من لب بن موسي الذي توفي في سنة (٢٦١هـ/ ٨٧٥م)أثناء رحلة صيد (١١١).

فرتون بن موسي بن موسى

ثارَ فرتون بن موسي وباين بالخلعان ضد الإمارة الأموية سنة (٢٥٨هـ/٨٧٢م)، فلما غزا الأمير محمد الثغر نجح في هزيمته وأخذه رهينةً في قرطبة هو وأخيه مطرف وحبسا في سجن الدويره، ولكن عفا عنهم الأمير محمد بعد أن أمرهم بأن يقسموا بالله في المسجد الجامع على ألا يفارقا الطاعة وأن يسكنا بمدينة تطلية، فأقسم كل واحد منهم خمسين يميناً، ولكن لم يلبث فرتون بن موسي إلا أن غدر واستولى على تطلية بمساعدة أخيه لب بن موسي سنة (٢٥٨هـ/٨٧١م)بعد أن أسر عاملها بن مغيث، وظل فرتون بمدينة تطلية إلى أن توفي بها في أواخر سنة (٢٦٠هـ/٨٧٤م) (١١٢)، أما مطرف بن موسي استمر على فساده، فخرج

(١١٠)ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص١٠١.
(١١١)العذري: نصوص عن الأندلس، ص٣١.
(١١٢)العذري: نصوص عن الأندلس، ص٣٤.

الأمير محمد بنفسه إلى الثغر الأعلى وقام بمحاصرته، ونجحَ في أسره وعاد به إلى قرطبة ومعه جماعة من الثوار، فأمر بقتل مطرف بن موسي القسوي وبنيه سنة (٢٥٩هـ/٨٧٣م) [١١٣].

الأميرُ محمدُ بنُ عبد الرحمن الأوسط ورهائن بني ذي النون:

يعد بنو ذي النون من أشهر السكان البربر الذين استقروا في كورة شنت برية، حيث كان جدهم الأعلى دخل الأندلس مع طارق بن زياد، و اتَّخَذَ من مدينة شنت بريه موطناً له[١١٤]، وقد بقي نسل هذا الرجل بعيدين عن أي نشاط سياسي إلى أن ظهر على مسرح الأحداث في عهد الأمير محمد (ذو النون بن سليمان)الذي عرفت الأسرة باسمه فيما بعد، وذلك أن الأمير محمد كان قافلا من الثغر الأعلى في بعض غزواته، فأعتل أحد مماليكه في الطريق وحينئذ تركه لدي ذو النون بن سليمان ليمرضه، ففعل ذو النون ذلك وتابع في تمريض الخصي وإلطافه حتى أفاق من علته، فاصطحبه ذو النون إلى قرطبة فكافأه الأمير على هذا الصنيع بأن سجل على ناحيته وأرتهن منه موسي ولده [١١٥].

ولقد استقام ذو النون على الطاعة إلى أن توفي سنة (٢٧٤هـ/٨٨٧م) ووُلي مكانه ابنه الجوشن الذي توفي سريعاً، فصارت الزعامة على بربر شنت برية للابن الثاني موسي الذي كان رهينة عند الأمير محمد، والذي لم يلبث أن نكث العهد ونبذ الطاعة وهاجم أهل مدينة طليطلة الذين

(١١٣)ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص١٠١.
(١١٤)عبد المجيد نعنعي: تاريخ الدولة الأموية في الأندلس، ص٣٠٠.
(١١٥)ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص٣٦، ٣٧.

كانوا على الطاعة آنذاك في نحو عشرين ألفاً وهزمهم هزيمةً كبيرةً، وذلك في سنة (٢٦٠هـ/ ٨٧٣هـ) (١١٦).

ومن المعروف أن موسي ذي النون كان طفلاً صغيراً وجعله الأمير محمد بدار الرهن ليتلقى تعليماً خاصاً، فسلوك موسي هذا عندما خلف والده كان على غير المنتظر منه فهذا دليلٌ كبيرٌ على فشلِ التربيةِ التي تلقاها في دار الرهن وهذا ما سوف تؤيده الحوادث التاريخية.

الثائرُ عمرُ بنُ حفصون:

وفي عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن احتدمت نارُ الفتنةِ في كورة ريه والجزيرة الخضراء وتاكرنا سنة (٢٦٥هـ/ ٨٧٨م)، ويرجع ذلك إلى سياسة العنفِ والشدةِ التي اتبعها يحيى بن عبيد الله (١١٧)عامل الأمير محمد على كورية ريه وأخوه إدريس عامل الجزيرة الخضراء مع أهالي تلك المناطق، فقد طالب الأهالي ببقايا خراج تأخر عليه وأشتد في طلبه فرفض الأهالي ذلك واعتصموا بجبالهم وتأهبوا للدفاع عن أنفسهم فكان يتزعم تلك الثورة رجل من الجزيرة الخضراء يدعى يحيى الجزيري فأرسل إليه الأمير محمد جيشا بقيادة هاشم بن عبد العزيز فغزاه

(١١٦)ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص٣٦،٣٧؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص٢٤٨.

(١١٧)يحيى بن عبيد الله: والي ريه وأخوه إدريس والي الجزيرة الخضراء في عهد الأمير محمد، وهما من الأسرة المعروفة بالخالدين إذ أن نسبهم ينتهي عند عبد الله بن خالد الذي كان من أكبر نقباء الأمير الأموي عبد الرحمن الداخل وممهد الأمر له في الأندلس؛ كمال السيد: بحوث في تاريخ وحضارة الأندلس، هامش ص ١٢٩.

فاضطر يحيى الجزيري إلى الإذعان له فقدم به هاشم إلى قرطبة معلنا الدخول في الطاعة (١١٨).

ولكن الفتنة لم تهدأ فقد انبعثت مرة أخرى في هذه النواحي أواخر سنة (٢٦٥هـ/ ٨٧٨م) بسبب مواصلة ولاة الأمير محمد سياستهم التعسفية بتلك الكور، مما أدي إلى سخط الأهالي وإعلانهم العصيان، فكانت ثورتهم مقدمة فتنة عمر بن حفصون الذي استغل فرصة اضطراب الأوضاع وسخط الأهالي على الولاة الأمويين واستمرار الفتنة في كورة ريه والجزيرة وتاكرنا (١١٩).

ففي سنة (٢٦٧هـ/٨٨٠م) ابتدأ شر عمر بن حفصون الذي أعيا الخلفاء أمره، وطالت في الدنيا فتنته وعظم شره وأخذ ابن حفصون ينتهز كل فرصة للإغارة على أطراف إقليم ريه ويوسعها تخريباً وسبياً ونهباً، ثم يعتصم بأوكاره في جبل ببشتر فلما اشتد عيثه وعدوانه سار إليه عامل ريه عامر بن عامر في بعض قواته فانهزم عامر هزيمة نكراء وسلم قبته فأخذها ابن حفصون وهو أول رواق ضربه فاستكن إليه أهل الشر، وترتب على ذلك ازدياد نفوذ عمر بن حفصون وكثرة أتباعه ودخل في طاعته أهل رية والجزيرة الخضراء وتاكرنا (١٢٠)، فعزل الأمير محمد عامله على ريه عامر بن عامر وبعث لكورية ريه بعامل جديد هو عبد العزيز بن عباس فهادنه ابن حفصون وسكنت الحال بينهما، ثم عزل عبد العزيز وتحرك ابن حفصون وعاد إلى ما كان عليه من الشر، فأرسل إليه الأمير محمد قائده هاشم بن عبد العزيز في قوة كبيرة سنة

(١١٨)ابن حيان: المقتبس، تحقيق محمود مكى، ص ٣٩١؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص١٠٣؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص٣٠٨.
(١١٩)ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ١٠٤؛ الونشريسى: المعيار المغرب، ج١٠، ص١١٢؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص٣٠٩.
(١٢٠)ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ١٠٤؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص ٢٥، الونشريسى: المعيار المغرب، ج١٠، ص١١٢؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص٣٠٩.

(٢٧٠هـ/٨٨٣م)، فشدد الحصار على ابن حفصون وجد في أثر العصاة والخوارج يطلب كل من كشف وجهه في الفتنة، وأظهر الخلاف وما زال حتى أرغم ابن حفصون على التسليم مع سائر عصابته، وأخذ رهائن أهل تاكرنا على إعطاء الطاعة وحملهم جميعاً إلى قرطبة، وصفح الأمير محمد على عمر بن حفصون وأوسع له في الإكرام وضمه إلى جيشهِ، لما لمسه فيه من براعة وقوة (١٢١).

ويلاحظ أن هاشم بن عبد العزيز في سبيل أن يقضي على الثورات المتكررة في هذا الإقليم أرغم عمر بن حفصون وأنصاره على التسليم هذا من جهة، ومن جهة أخرى اتَّخَذَ رهائن من أهل مدينة تاكرنا وذلك حتى يضمن طاعتهم وعدم خروجهم على الأمير محمد، وعلى الراجح أن هؤلاء الرهائن كانوا هم المدبرين لهذه الثورات ولديهم القدرة على الوقوف في وجه الإمارة الأموية وهو بذلك يحرم المدينة من هذه العناصر، وأن يستفيد من خبرات عمر بن حفصون وجنوده في جيش الإمارة الأموية.

وفي سنة (٢٧١هـ/٨٨٤م) تعرض عمر بن حفصون للإهانة من قبل محمد بن وليد ابن غانم صاحب المدينة بقرطبة، وذلك لأن عمر بن حفصون شكي إلى محمد بن الوليد بن غانم الطعام الرديء الذي يأكله قائلا له " يرحمك الله يمكن أن يعاش من هذا " فرد عليه ابن غانم قائلا من أنت يا شيطان" (١٢٢)،

نجد أن سوء المعاملة التي تلقاها عمر بن حفصون من قبل القيادات العربية قد خلقت منه ثائراً يبحث عن أطماع شخصية إلى ثائر حانق وكاره لكل ما هو عربي يلاحقه دوماً الشعور بالامتهان من قبل رجال الدولة الأموية العرب واحتقارهم للمولدين، فهذه الأحداث سوف تجعل من

(١٢١)ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ١٠٤؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص٣٠٩.
(١٢٢)ابن القوطية: تاريخ إفتاح الأندلس، ص ١٠٥.

عمر بن حفصون الأمل الأعظم للمولدين في مواجهة الأرستقراطية العربية، فهرب عمر بن حفصون من قرطبة وأشار إلى جنده إلى الارتداد إلى الجبال والتجأ إلى قلعة ببشتر وجمع حوله أتباعه وأعلن العصيان (١٢٣)، فأرسل إليه الأمير محمد جيشا بقيادة ابنه المنذر في سنة (٢٧٣هـ/٨٨٦م)، وبدأ الزحف على مدينة الحامّة في شمال شرقي مالقة، وفيها الثائر حارث ابن حمدون حليف عمر بن حفصون، فسارع ابن حفصون إلى إنجاد حليفه، واجتمع الثائران بمدينة الحامة لمقاتلة جند الأمير، فحاصر المنذر الحامة لشهرين، ولما أشرفت مؤن المدينة المحصورة على النفاد، خرج ابن حفصون وحليفه في جندهما، واشتبكا مع جند الأمير في معركة عنيفة، هزم فيها الثوار وجرح ابن حفصون وارتد مع أصحابه إلى الحامة واستعصم بها وبينما المنذر مقيم على حصارها جاءته الأنباء من قرطبة بوفاة أبيه الأمير محمد (٢٩صفر سنة ٢٧٣هـ/أوائل أغسطس سنة٨٨٦م) فارتد لفوره إلى قرطبة، تاركاً الحامّة لمصيرها، وتنفس ابن حفصون الصعداء، وانتهز الفرصة السانحة للإغارة على معظم الحصون الواقعة في تلك المنطقة، ولم يمض سوي قليل حتى استطاع أن يبسط سلطانه على ريُّه ورندة وإستجّة وغيرها (١٢٤).

وقد وفق عمر بن حفصون في اختيار مكان قاعدته التي اعتصم بها حيث التجأ إلى حصن ببشتر في كورة ريه، ومن الواضح أن الحصن كان في جبل هذه الكورة (١٢٥)الذي يقع ضمن سلاسل الجبال الجنوبية في الأندلس (١٢٦)، ولقد وصف حصن ببشتر بأنه شديد الامتناع

(١٢٣)ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ١٠٥، ١٠٦؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص٣٠٩؛ رينهارت دوذى: المسلمون في الأندلس، ج١، ص ١٤٥.

(١٢٤)ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ١٠٦؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص٣١٠؛ رينهارت دوزى: المسلمون في الأندلس، ج١، ص١٤٦.

(١٢٥)البكرى: جغرافية الأندلس، ص٨٤.

(١٢٦)العبادى: في تاريخ المغرب والأندلس، ص١٧٠.

قوي التحصين " تزل عنه الأبصار، فكيف الإقدام " على حد تعبير الحميري (١٢٧)، حيث أنه شيد على صخرة عالية منقطعة من جميع النواحي (١٢٨)، ولم يكن له غير بابين لا سبيل للوصول إليهما إلا عبر شعب وعر محاذ للنهر (١٢٩)، ولهذا فإن الصعود إليه كان في غاية الصعوبة (١٣٠)وفوق ذلك كانت المنطقة التي أقيم فيها هذا الحصن موغلة في داخل الجبال، لا يمكن ولوجها إلا من خلال خوانق وعرة، بعضها لا يحتمل سوي المرور بصعوبة لإثنين أو ثلاثة معا (١٣١).

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن الممتنعين بهذا الحصن قد لا يتعرضون لضائقة اقتصادية، وذلك لأن القلعة التي بني عليها معقل ببشتر كان غنياً بالماء ويتميز بكثرة الشجر والثمر (١٣٢)ليس هذا فحسب بل أن هناك العديد من القري والحصون المحيطة بهذا المعقل التي كانت هي الأخرى كثيرة المياه، غاصة الأشجار مَمْلُوءٌ بأنواع الثمار (١٣٣).

ثم إن عمر بن حفصون نجح في اجتذاب الأتباع، وحشد الأنصار من كل جهة، فلقد كانت دعوته التي رددها توافق في ذلك الحين هوي في نفوس قطاع كبير من سكان الأندلس، فمن أقواله " طالما عنف عليكم السلطان، وأنتزع أموالكم، وحملكم فوق طاقتكم، وأذلتكم العرب واستعبدتكم، وإنما أريد أن أقوم بثأركم، وأخرجكم من عبوديتكم" (١٣٤)، ومن المعروف أن لمثل

(١٢٧)الحميري: الروض المعطار، ص ٧٩.
(١٢٨)ابن غالب: فرحة الأنفس، ص ٢٦؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ١٩٦.
(١٢٩)الحميري: الروض المعطار، ص٧٩.
(١٣٠)الإدريسى: صفة المغرب، ص ٢٠٤.
(١٣١)ابن حيان: المقتبس،: إسماعيل العزب، ص ٩٩.
(١٣٢)ابن غالب: فرحة الأنفس، ص ٢٦؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ١٩٦.
(١٣٣)الحميري: الروض المعطار، ص٧٩.
(١٣٤)ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ١١٤.

هذه الدعوات يقوم بها المعارضون للسلطات إذ أن لها بريقاً جذاباً وواقعاً فعالاً في نفوس الناس، ولذا فإن بن حفصون كان لا يوردها على أحد إلا أجابه وشكره (١٣٥).

الرهائن السياسيون في عهد الأمير عبد الله (٢٧٥ - ٣٠٠ هـ / ٨٨٨ - ٩١٢م)

يوصفُ الأمير عبد الله بأنه " لين العريكة شديد الحب للعافية" (١٣٦)حيث وصل الأمير عبد الله إلى عرشِ الإمارةِ الأموية بعد وفاة أخيه المنذر، فورث حملاً من المشكلات الكبيرة التي لم يتهيأ لسابقيه التمكن من حسم أمرها، فالإمارة الأموية كما يقول ابن عذاري " قد تحيفها النكث ومزقها الشقاق وحل عراها النفاق والفتنة مستولية، والدجنة متكاثفة، والقلوب مختلفة، وعصي الجماعة متصدعة، والباطل قد أعلن، والشر قد اشتهر، وقد تمالأ على أهل الإيمان حزب الشيطان، وصار الناس من ذلك في ظلماء ليل داج، لا إشراق لصباحه، ولا أفول لنجومه، وتألب على أهل الإسلام أهل الشرك ومن ضاهاهم من أهل الفتنة، الذين جردوا سيوفهم على أهل الإسلام، فصار أهل الإسلام بين قتيل ومحروق ومحصور، يعيش مجهوداً، ويموت هزلاً، قد انقطع الحرث، وكاد ينقطع النسل" (١٣٧)، "، فلم يبق تحت طاعة الأمير عبد الله سوي قرطبة وأقاليم معدودة (١٣٨).

(١٣٥)ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ١١٤.
(١٣٦)ابن حيان: المقتبس، مكى، ص ٣٥٥.
(١٣٧)ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ١٢١.
(١٣٨)ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص ٢٧.